

محاضرة (5)

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

طرق البحث في الذكاء

على الرغم من أن المفكرين قد فطنوا منذ عصر الإنسانية إلى وجود الفروق الفردية بصفة عامة والفروق بالذكاء بشكل خاص . فإن الدراسة العلمية لهذه الظاهرة لم تصبح علما له أصوله وقواعده ومناهجه إلا عندما خضعت هذه النواحي للدراسة العلمية الموضوعية ابتداءً من أواخر القرن الماضي.

وعلى الرغم من أن هذا الاتجاه الموضوعي في دراسة الفروق الفردية في الذكاء أصبح اتجاها عاما بين علماء علم النفس فإنهم مازالوا مختلفين بشأن أنسب الطرق لفهم الاختلاف هذه الظاهرة ودراستها دراسة علمية . ويرجع هذا الاختلاف بالدرجة الأولى إلى الاختلاف في فهم الظاهرة النفسية , والمنطلقات الفلسفية التي يبدأ منها الباحث . ولعل الشيء المثير للدهشة , أن نجد أن ميول العلماء المنهجية تكاد تنتوزع جغرافيا وبشكل واضح , فمعظم العلماء الأميركيين والانجليز يتبعون في دراستهم للفروق في الذكاء ما يعرف بالمنهج الإحصائي , بينما يستخدم جان بياجيه عالم النفس السويسري المشهور والذي يعتبر علامة بارزة في تاريخ علم النفس في وسط أوروبا وفرنسا منهجا مختلفا سمي بالمنهج الإكلينيكي , وفي روسيا ودول أوروبا الشرقية , يميل العلماء إلى استخدام الملاحظة الموضوعية والتجربة في دراسة الذكاء والقدرات العقلية .

أولاً: المنهج الإحصائي:

يعتقد علماء النفس الأميركيين والانجليز أن منهج دراسة الفروق الفردية بالذكاء يجب أن يختلف اختلافا كليا جوهريا عن المنهج التجريبي الذي تعتمد عليه الدراسة العلمية لكثير من الظواهر النفسية الأخرى، مثل الإدراك والتعلم وغيرها. فالمنهج التجريبي يعتمد على دراسة العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة أو بين المثيرات و الاستجابات - أما حينما تصبح الفروق الفردية ذاتها هدفا للدراسة العلمية , فإن المنهج المستخدم يجب أن يختلف, وعلى الباحث أن يستخدم المنهج الإحصائي الذي يهدف إلى دراسة ومعرفة نوع الاحتمالات المختلفة التي تنتظم بها الفروق القائمة بين الأفراد . وهو في دراسته لهذه الفروق لا يحاول الكشف عن العلاقات بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات الثابتة , أو بين المثيرات والاستجابات أثناء يدرس العلاقات القائمة بين مجموعة من المتغيرات التابعة , أي بين مجموعة من الاستجابات المختلفة , كأن يدرس العلاقة بين

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

أداء الأفراد على اختبار الذكاء , وبين أدائهم على اختبار للتحصيل في مادة الحاسب مثلا و واضح أن أداء الأفراد في كل من الاختبارين , هو استجابات أو متغيرات , وليست بين مثيرات واستجابات.

لهذا نجد أن الباحث في دراسته للذكاء باستخدام المنهج الإحصائي يتبع عادة الخطوات التالية:

1- إعداد مجموعة من الاختبارات العقلية، التي تقيس استجابات الأفراد أو أدائهم في مجموعة من المواقف التي تمثل النشاط العقلي , وعن طريق هذه الاختبارات يحصل الباحث على تقديرات كمية لأداء الأفراد أو استجاباتهم .

2- يطبق الباحث هذه الاختبارات على عينات كبيرة العدد من الأفراد , تمثل المجتمع الأصل الذي يريد الباحث دراسته .

3- يحسب الباحث العلاقات القائمة بين درجات الأفراد في هذه المتغيرات عن طريق حساب معاملات الارتباط بينهما . ومعامل الارتباط، هو مقياس كمي للعلاقة بين متغيرين. أو تقدير كمي يوضح الحد الذي يربط المتغير بالمتغير الآخر.

4- تنظيم معاملات الارتباط الناتجة في جدول خاص يعرف بمصفوفة معاملات الارتباط، ثم تخضع مصفوفة معاملات الارتباط لنوع خاص من التحليل الإحصائي يعرف بمنهج التحليل العاملي.

- فالتحليل العاملي ليس نظرية، وإنما هو طريقة للتحليل الإحصائي يمكن استخدامها في ميادين متعددة . والعامل أساس لتصنيف المتغيرات. فإذا وجدنا مثلا أن مجموعة من الاختبارات تقيس شيئا واحدا بدرجات مختلفة. وهنا نلجأ إلى تلك الاختبارات للبحث عن الصفة المشتركة بينهما والتي تميزها عن غيرها من الاختبارات. فإذا وجدنا مثلا , أن مجموعة الاختبارات المشبعة بعامل واحد , تتشابه في أنها جميعا تعتمد على التعامل مع الأعداد , بصرف النظر عن الاختلاف الموجود بينها , فيما يتعلق بنوع وطبيعة العمليات الحسابية المتضمنة فيها , و أن الاختبارات الأخرى غير المشبعة بهذه العامل لا تتضمن تعاملًا مع الأعداد , فإننا نستدل من هذا , على أن العامل المسؤول عن الارتباط الموجب بين مجموعة الاختبارات هو القدرة العددية , وفي هذه الحالة نكون قد فسرنا العامل تفسيرًا نفسيًا .

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

وعلى هذا فالتحليل العاملي وسيلة إحصائية للحصول على وصف مختصر بسيط للظواهر والفروق بين الأفراد فيها .

إذ أن عدد المتغيرات التي نصفها نصف ضوء النشاط العقلي تختصر إلى عدد أصغر نسبياً من العوامل المشتركة. وبذلك يمكن وصف الفرد في ضوء درجاته في عدد قليل من العوامل . ويرى علماء النفس الأميركيين والانجليز أن لمنهج التحليل العاملي فوائد ومميزات أساسية فيما يلي كما عبر عنها جيلفورد أحد علماء النفس الأميركيين البارزين بأنها:

1- الاقتصاد في عدد المتغيرات

2- يعطي قدراً أكبر من المعلومات

3- يعطي مفهوماً أوسع لمفهوم الذكاء

4- تمدنا العوامل بإطار مرجعي

هذا المنهج الإحصائي , والذي يعتمد أساساً على التحليل العاملي , نشأ وتطور في إطار دراسة الفروق الفردية في الذكاء . ونتيجة لاستخدامه بواسطة علماء النفس الإنجليز والأمريكيين ظهرت عدة نظريات عن التكوين العقلي للإنسان نتناولها بشكل مفصل فيما بعد.

ثانياً: المنهج الاكينيكي:

لم يكن اهتمام بياجيه منصبا على دراسة الفروق الكمية في الذكاء بين الأطفال أو بين الراشدين , وإنما اهتم أساساً بالمتغيرات الكيفية (النوعية) التي تحدث في النشاط العقلي للطفل , وفي تفكيره , مع مراحل النمو المختلفة . فقد كان الاعتقاد الراسخ , أن فهم سلوك الكبار وتفكيرهم لا يمكن أن يتم دون فهم المتغيرات النمائية , التي تحدث في الوظائف والأبنية العقلية للطفل منذ ميلاده حتى يصل مرحلة النضج العقلي . ولم يتصور النمو العقلي على أنه زيادة في مقدار الذكاء أو كميته عند الطفل , وإنما تصوره على أنه زيادة تعقيده في التراكيب العقلية , تصاحبه تغيرات كيفية في النشاط العقلي . ومن هنا لم يهتم بياجيه بإعداد اختبارات مقننة للحصول على تقديرات كمية لذكاء الأطفال , ولا بمعالجة النتائج معالجة إحصائية , وإنما بالوصف اللفظي التفصيلي لتفكير الطفل .

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريبي

ولقد سمي منهج بياجيه بالمنهج الكلينيكي نظرا لأن دراساته كانت شبيهة في طريقتها بما يحدث بالعيادات النفسية . فقد كانت ملاحظاته للأطفال بدلا من أن تتم بطريقة تجريبية مضبوطة . فقد كان يلاحظ الطفل غالبا في مواقف طبيعية , في المنزل أو المعمل على حد سواء , وكان يعطي الأطفال الكبار نسبيا في السن , مشكلات بسيطة لكي يحلوها وفقا لدرجة نموهم , ويشجعهم على الحديث , ويوجه إليهم بعض الأسئلة . وبيانات بياجيه , مكتوبة عادة في شكل تقارير وصفية , دون معالجة إحصائية , كتلك التي يقوم بها الباحثون التجريبيون غالبا .

وقد اختار بياجيه هذا المنهج في دراسة الذكاء والنمو العقلي للأطفال , لاعتقاده بأنه السبيل الوحيد لفهم الأبنية العقلية لدى الطفل , فعندما يوجه الباحث سؤالاً للطفل , أو يضع أمامه مشكلة ما , يستطيع أن يتتبع تفكيره أينما ذهب إذ ليس الأمر كما هو الحال في المقابلة المقننة , التي يكون الباحث فيها ملزما بتوجيه الطفل عدد معين من الأسئلة , وبترتيب واحد محدد مسبقا , بصرف النظر عن إجابات الطفل , أو ما يصدر عنه من تعليقات , وإنما يستطيع الباحث أن يوجه من الأسئلة إلى الطفل , ما يراه مناسباً وكما يستطيع أن ينتقل من موضوع لآخر , وفقا لاستجاباته , وتبعاً لما يراه المجرب , بخبرته , مع أنه السبيل الأفضل لفهم تفكير الطفل , وطريقة حله للمشكلات . أن هذا المنهج , ليس الهدف منه قياس ما يستطيع الطفل عمله , أو ما يعرفه الطفل فعلا , والتعبير عن ذلك تعبيراً كمياً في صورة درجة أو ما شابهها , وإنما الهدف منه فهم الميكانيزمات العقلية التي تستخدم في التفكير وحل المشكلات , الهدف هو التعمق فيما وراء الإجابات الظاهرة أو النهائية للطفل .

-أهم الفروق التي تميز منهج بياجيه عن المنهج الإحصائي:

- 1- الأداة التي يعتمد عليها المنهج الإحصائي في جمع البيانات هي الاختبارات الموضوعية أو المقننة التي تطبق على جميع الأفراد وفي شروط مضبوطة . أما بياجيه فيعتمد في جمع بياناته على ملاحظات غير رسمية لنشاط الطفل , وحلول لبعض المشكلات البسيطة التي يقدمها له , مع قدر ضئيل من الضبط التجريبي .
- 2- يهتم الباحث في المنهج الإحصائي بما يستطيع الطفل عمله أو ما يعرفه , متمثلاً في عدد الإجابات الصحيحة على أسئلة الاختبار , دون الاهتمام بكيفية وصول الميكانيزمات العقلية التي تستخدم في التفكير وحل المشكلات

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

, أي أنه يهتم أساساً بطريقة الوصول إلى الحل , سواء كان هذا الحل صحيحاً أو خاطئاً , دون اهتمام كبير بكمية الإجابات الصحيحة .

3- يحصل الباحث في المنهج الإحصائي , على بياناته بتطبيق الاختبارات على عينات من الأفراد كبيرة العدد وكلما زاد عدد العينة زاد حجم العينة وتمثيلها للمجتمع الأصلي , كلما كانت الثقة في نتائجه أكثر . أما بياجيه , فكان يجمع بياناته من ملاحظة عدد قليل من جداً من الأطفال , وربما من ملاحظة طفل واحد وقد يكرر هذه الملاحظات على عدد قليل آخر من الأطفال .

4- يخضع الباحث في المنهج الإحصائي بياناته الكمية لمعالجة إحصائية معقدة , ويعرض نتائجه في صورة معاملات إحصائية , أما بياجيه فلا يهتم بالمعالجة نتائج الإحصائية مطلقاً , ذلك أن نتائجه الأصلية ليست بيانات كمية , كما أنه يعرض نتائجه في صورة تقارير لفظية أو وصفية مفصلة (بروتوكولات) .

- ونتيجة لاستخدام بياجيه ومعاونيه لهذا المنهج الأكلينيكي في دراسة الذكاء تراكت لدينا ذخيرة ضخمة من الكتب والتقارير والمقالات , الفريد من نوعها , وفي معالجاتها لموضوع الذكاء والنمو العقلي .

ثالثاً: الملاحظة والتجربة:

يرى علماء النفس في روسيا ودول أوروبا الشرقية أن الملاحظة الموضوعية والتجربة هما الطريقتان الرئيسيتان لدراسة الذكاء والقدرات العقلية. فالبحث العلمي أياً كان نوعه، محاولة هادفة لاكتشاف العلاقات السببية بين الظواهر ولا يمكن أن تتحقق إلا بالملاحظة والتجربة.

ففي الملاحظة يجمع الباحث البيانات عن الظاهرة كما تحدث في الطبيعة، دون تدخل متعمد من جانبه في تغييرها أو تعديلها ، وفي التجربة يتدخل الباحث عن عمد بخلق ظروف معينة تهدف إلى عزل الظاهرة المدروسة عن المتغيرات الأخرى , أو تثبيت هذه المتغيرات بطريقة ما , فيما عدا متغير واحد لكي يستطيع تحديد طبيعة العلاقة بين الظاهرة وهذا المتغير .

وعلى الرغم من اتفاق العلماء الروس على استخدام الملاحظة والتجربة في دراسة القدرات العقلية، نجد أنهم يختلفون في تحديد أي منهما يجب اتباعه في الوقت الحالي , فمثلاً : يرى ليتس أن مستوى معلوماتنا عن الشخصية في الوقت الحالي يوضح بجلاء أن الأولوية للملاحظة الموضوعية في دراسة القدرات . ويشير أنه

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

إذا كان الباحثون متفوقون على أن القدرات العقلية ليست كيانات قائمة معطاة للفرد منذ البداية , وإنما هي تكوينات نفسية جديدة تظهر أثناء تفاعل الفرد مع العالم الخارجي , فإننا في حاجة ملحة إلى جمع بيانات عن نمو هذه القدرات أثناء النشاط الحياتي للأفراد , ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق الملاحظة المنظمة للنشاط الفعلي للأفراد أثناء ممارستهم حياتهم العادية , وخاصة في المواقف التعليمية .

وقد اعتمد ليتس ذاته على الملاحظة في إعداد دراسة مستفيضة عن نمو القدرات العقلية للتلاميذ في مراحل التعليم العام المختلفة .

وقد حاول بلاتونف في كتابه عن منهج دراسة القدرات , أن يجعل الملاحظة أكثر موضوعية وثراء , بتنوع مصادرها , ولذلك فهو يرى الملاحظة لكي تكون فعالة ومثمرة يجب أن:

1- تشمل جوانب متعددة من نشاط الفرد الذي نلاحظه , فكلما اتسع مجال الملاحظة , كلما ساعد ذلك على فهم الشخصية المبحوثة , وتقدير قدراتها , وعلى ذلك يمكن أن يلاحظ الفرد في نشاطه التعليمي والمهني والرياضي والاجتماعي وغير ذلك .

2- يحدد هدف الملاحظة منذ البداية , فقد يكون الهدف المساعدة في تكوين الشخصية وتربيتها أو توجيهها توجيهها مهنيًا أو تعليميًا , وقد يكون الهدف نظريًا أي الدراسة العلمية فحسب , ولا شك أن تحديد الهدف بوضوح ييسر اختيار الأدوات المناسبة لجمع البيانات المطلوبة .

3- يستفيد الباحث من المعلومات التي تأتي إليه من مصادر متنوعة , وألا يهمل مصدرًا يمكنه استخدامه في الحصول على بيانات عن الشخص موضوع الدراسة , ولذلك يفضل أن تكون مصادر المعلومات من أعلى , أي من رؤساء الفرد والمشرفين عليه , ومن أدنى أي من المرؤوسين له , وكذلك من زملائه وأقرانه الذين يقفون معه في مستوى مهني أو تعليمي واحد . وإذا وجد تناقض في هذه المعلومات فإن ذلك يجب أن يكون موضوع دراسة خاصة . وفي مثل هذه الحالات يمكن الاستعانة بالبيانات المستمدة من المواقف التجريبية . وللتجريب في دراسة الذكاء والقدرات العقلية مؤيدوه . فكثير من الباحثين الروس يبدون حماسًا لاستخدام التجارب المضبوطة , ويرون أنها أفضل الطرق لفهم قدرات الإنسان , وكيفية تكوينها , والعوامل التي

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

تؤثر فيها , ولسنا نريد أن نتناول التجريب وشروطه بالتفصيل , فذلك معروف لكل الباحثين , وإنما نشير فقط إلى أن الباحثين الروس يميزون بين نوعين رئيسيين من التجربة في البحث النفسي :

أ- **تجربة تقريرية:** وتهدف إلى تحديد مستوى القدرات لدى الأفراد باستخدام أساليب تجريبية معملية , أو عن طريق إعداد مواقف اختبارية معينة , ويمكن أن يستخدم في هذه التجارب مشكلات معينة تعطى للمفحوص لكي يحلها , ولكن هذه المشكلات تختلف عن تلك التي تتضمنها اختبارات الذكاء والقدرات العقلية عادة , من حيث أنها لا تهتم بالنتائج النهائي فقط , أو بصحة الإجابة وخطئها فحسب , وإنما تصمم بحيث تكشف بدرجة ما عن مسارات تفكير المفحوص أثناء حله لتلك المشكلات , سواء أكان الحل صحيحا أو خاطئا .

ب- **تجربة تكوينية:** ويهدف الباحث من استخدام هذه الطريقة إلى فهم كيف تتكون القدرات العقلية والعوامل التي تؤثر فيها , فهو يقوم بإعداد مواقف تجريبية مضبوطة , وقد يستخدم جماعات مختلفة بهدف تكوين قدرات معينة , ودراسها أثناء تكوينها في ظل الشروط التي يوجد لها المجرى , ويرى كثير من الباحثين أن هذه الطريقة أفضل من غيرها , لأنها تمكننا من فهم ميكانيزمات نمو القدرات العقلية .

والباحث التجريبي يستطيع أن يستفيد من جميع مصادر المعلومات المتاحة له , كما يستطيع استخدام أساليب جمع البيانات فهو يستطيع أن يستخدم الاستبيانات والمناقشات مع المبحوثين , لكي يحصل على تقدير ذاتي لقدراتهم , كما يستطيع أن يلاحظ نشاطهم ويحصل على نتائج تطبيق اختبارات عليهم , وتقدير الآخرين لهم .

وبهذا يمكن أن نلخص الفروق بين الملاحظة والتجربة التي يفضلها علماء النفس الروس , وبين المنهج الإحصائي الذي يستخدمه علماء النفس الأمريكيين والإنجليز في دراسة الذكاء والقدرات فيما يلي:

1- بينما يعتمد المنهج الإحصائي على الاختبارات المقننة في جمع البيانات , يفضل علماء النفس السوفيت استخدام أساليب متنوعة لجمع البيانات بما فيها الاختبارات , بالإضافة إلى الملاحظة الموضوعية والتجارب المضبوطة , وهم في ذلك أقرب إلى طريقة بياجيه منهم إلى المنهج الإحصائي .

2- بينما يركز الباحث باستخدام المنهج الإحصائي على ما يستطيع الفرد عمله أو ما يعرفه فقط , متمثلا في عدد الإجابات الصحيحة على بنود الاختبار , نجد أن علماء النفس الروس يتفوقون مع بياجيه في الاهتمام

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

بكيفية وصول المفحوص إلى الإجابات سواء كانت صحيحة أو خاطئة , أي أنهم يركزون على طريقة التفكير وميكانيزماته , أكثر من تركيزهم على النتائج النهائي .

3- بينما يعتمد المنهج الإحصائي على تطبيق الاختبارات على عينات ضخمة من الأفراد , نجد أن علماء النفس الروس يشبهون بياجيه في عدم الاهتمام بإعداد المفحوصين , فعادة ما يجرون ملاحظاتهم وتجاربهم على عينات قليلة العدد .

4- بينما يهتم الباحث باستخدام المنهج الإحصائي بالتقديرات الكمية وإخضاع بياناته لمعالجات إحصائية معقدة، نجد أن الباحثين الروس أميل إلى الاهتمام بالوصف اللفظي التفصيلي لنتائجهم , وإيراد بروتوكولات مفصلة عن تجاربهم وملاحظاتهم . على أنهم يلجأون أحيانا إلى استخدام بعض التحليلات الإحصائية لنتائج الدراسات التجريبية بشكل خاص .

5- بينما يهتم الباحثون في النمو العقلي باستخدام الاختبارات العقلية والمنهج الإحصائي بتتبع نمو الأفراد دون تدخل منهم في سير هذا النمو , وهم في ذلك يتفوقون مع بياجيه , نجد أن علماء النفس السوفيت يحذون استخدام التجربة التكوينية التي تمثل تدخلا مباشرا من جانب البحث في سير النمو العقلي .

وعليه فقد تعرض القياس النفسي الى الكثير من الانتقادات حيث كان هناك ثمة طائفة أخرى من علماء النفس , تتركز أساسا في روسيا ودول أوربا الشرقية , تتبع في دراسة الذكاء ذات المنهج الذي تتبعه في دراسة الظواهر النفسية الأخرى , وهو الذي يعتمد أساسا على الملاحظة الموضوعية التجريبية .

والواقع أن استخدام علماء النفس السوفيت لهذا المنهج في دراسة الذكاء والقدرات العقلية , لم يكن موجودا قبل الأربعينيات , ففي العشرينيات والثلاثينيات لم تكن تختلف دراسة الذكاء والفروق الفردية في الاتحاد السوفيتي عنها في أمريكا وإنجلترا . إذ كما سنوضح في عرضنا لأفكارهم النظرية فيما بعد . اعتمدوا على في دراساتهم آنذاك على الاختبارات والمقاييس , بل وكانوا يستخدمون هذه المقاييس في أغراض الانتقاء والتوجيه المهني , وتحديد الصلاحية المهنية على نطاق واسع , سواء في القوات المسلحة أو في المؤسسات المدنية المختلفة . إلا أن الأخطاء التي ترتبت على هذا الاستخدام الواسع للمقاييس والاختبارات في الأغراض

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

العملية التطبيقية , أدت إلى اتخاذ قرار سياسي عام 1936م وينبه إلى أخطاء القياس العقلي والنفسي ويحذر من أخطاره على البناء الاشتراكي .

نقد القياس العقلي:

وعلى الرغم من أن بعض العلماء السوفيت ، كانوا قد بدؤوا قبل هذا التاريخ يشككون في قيمة القياس العقلي ، والاعتماد عليه كوسيلة وحيدة لدراسة الذكاء والقدرات العقلية ، فإن القرار المشار إليه كان نقطة تحول رئيسية في منهج دراسة الذكاء والقدرات العقلية في الاتحاد السوفييتي ، ففي مجال التطبيق العملي توقف استخدام الاختبارات تقريبا , وفي مجال الدراسة النظرية عكف بعض العلماء على إبراز أخطاء القياس ونواحي القصور فيها ، وقد تركزت انتقاداتهم للقياس العقلي فيما يلي :

1- الاختبارات العقلية لا تستطيع أن تمد الباحث إلا بتقدير كمي للنتائج النهائية لحلول الفرد للأسئلة أو المشكلات التي يتضمنها الاختبار ، وبالتالي فهي تصرف الباحث عن الاهتمام بجوهر الظاهرة النفسية، أو بالطريقة التي تحدث بها عملية حل المشكلة ، سواء كان الحل صحيحا أو خاطئا

2- لا تعطي الاختبارات العقلية – بسبب تركيزها على النتائج النهائية للنشاط العقلي – إلا تقديرا سطحيا عن مستوى النمو العقلي للفرد. ولكنها لا تعطينا شيئا عن طبيعة التخلف أو التفوق العقلي أو أسبابهما , إنها بذلك تصبح وسيلة فقط لتصنيف الناس، على سبيل المثال لا تستطيع الاختبارات أن تحدد أسباب التخلف , وبالتالي لا يمكن أن توضح لنا أي الطرق يمكن أن تستخدم في معالجته بل على العكس من ذلك , يعطي واضع الاختبار أو مستخدمه انطباعا بأنه يقيس عاملا ثابتا , ومن ثم فلا سبيل إلى تغييره , وبناء على هذا الحكم السطحي يتحدد مصير الطفل وقد يرسل إلى مؤسسة للمتخلفين عقليا , أو يبعد من المدرسة العادية دون محاولة جادة لاكتشاف الصعوبات أو المشكلات التي أعاققت نموه العقلي , والحديث هنا بطبيعة الحال لا يدور عن الحالات التي يكون السبب فيها نقصا عضويا محددًا , وإنما عن تلك الحالات التي يتضح أنها تعاني من تخلف , على الرغم من سلامتها العضوية .

3- يستند القياس العقلي إلى افتراض خاطئ مؤداه , أن الخصائص والوظائف العقلية أشياء ثابتة قائمة بذاتها , يمكن عزل كل منها وقياسها على حدة , ومعنى هذا أن كل سمة مقيسة لا ارتباط لها بظروف نشاط الإنسان

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

أو أهدافه , ولا علاقة لها بالصفات النفسية الأخرى , وخصائص الشخصية ككل , ومن هنا كان افتراض أن الاختبار العقلي يمكن أن يقيس القدرة المعينة وأن يعطينا تقديرا كميا عن مستواها , بصرف النظر عن المتغيرات الأخرى في الشخصية , وهذا افتراض خاطئ ولا يستند إلى أساس علمي .

4- الاختبارات العقلية (والجمعية بصفة خاصة) مهما أحسن إعدادها , لا يمكن أن تعطي تقديرا سليما عن ذكاء الفرد , فالمحك الرئيسي للحكم على الذكاء هو مواقف الحياة الفعلية ومشكلاتها , وبديهي أن تصرف الفرد في هذه المواقف يتأثر بمشاعره وانفعالاته . أما في المواقف الاختبارية فإن الفرد يعزل عن جميع العلاقات الاجتماعية وعن المواقف الحقيقية للحياة , بل يحاول الباحث عادة أن يستبعد أي أثر لانفعالات المفحوص ومشاعره . ومن ثم فإن الدرجة التي يحصل عليها الفرد في هذه الاختبارات لا يمكن أن تعبر تعبيراً دقيقاً عن تعبيره وقدراته الحقيقية , التي تظهر أثناء مواجهته لمواقف الحياة العادية .

5- يزعم المدافعون عن الاختبارات، أنهم باستخدامها يوفران الموضوعية المطلوبة في البحث العلمي , والواقع غير ذلك , إذ أن الذاتية موجودة دائماً , واستخدام التعبيرات الكمية والمعالجات الإحصائية لا يمكن بحال من الأحوال أن يصلح أخطاء الفقرات التي أعدت بالمحاولة والخطأ , أو يستبعد التصور الذاتي لواضع الاختبار عن الظاهرة المقيسة , وما يترتب على ذلك من انتقاء الموضوعية المزعومة .

6- كان هناك اعتقاد ساد لفترة من الوقت مؤداه أن الاختبارات العقلية تقيس الاستعداد الفطري، دون تدخل العوامل الثقافية أو البيئية , لذلك كان يعتمد عليها في تحديد الصلاحية المهنية , وفي عمليات التوجيه التعليمي والانتقاء المهني , وقد ثبت تهافت هذا الاعتقاد , فالاختبارات العقلية تقيس محصلة الخبرات التعليمية للفرد , ولا يوجد حتى الآن اختبار واحد متحرر تماماً من أثر الثقافة , وقد اعترف كثير من علماء النفس الغربيين أيضاً بذلك .

7- ونتيجة لتشبع الاختبارات بالعوامل الثقافية، ظهر تحيزها في الاستخدامات العملية التطبيقية ضد أبناء الطبقة العاملة , فالأطفال الذين نشأوا في ظروف صعبة كانوا يحصلون على درجات منخفضة في الذكاء , ومن ثم كانوا يستبعدون من المناصب الهامة , ومن مجالات تعليمية معينة .

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

ويعني هذا أن الاستخدامات التطبيقية للقياس العقلي , تدعم التفاوت الطبقي بطريق غير مباشر وهو ما يتعارض مع أهداف المجتمع الاشتراكي , وقد كان هذا هو السبب في اتخاذ القرار السياسي المشار إليه وتوقف استخدام الاختبارات في عمليات الانتقاء والتوجيه المهني والتعليمي في الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية .
8- إن الباحث النفسي باعتماده كلياً على القياس العقلي في دراسة الذكاء , يفقد حسه السيكلوجي , ويتحول إلى مجرد كاتب أو آلة تتعامل بالأرقام والمعادلات , دون فهم حقيقي أو اهتمام بالعمليات والظواهر النفسية الحقيقية .

خلاصة الفصل

على الرغم مما يبدو من تعارض واختلاف بين طرق البحث السابقة , وما يظهر من تناقضها في أسسها النظرية , فإن كثيراً من الباحثين أصبحوا ينظرون إليها الآن نظرة تكامل وتناسق , فالدراسة الإحصائية للفروق بين الأفراد في الذكاء لا تغني عن الدراسات التجريبية والملاحظة الموضوعية , والعكس صحيح .
بالملاحظة والتجربة يستطيع الباحث التوصل إلى القوانين العامة التي تحكم الظاهرة النفسية وتطبق على جميع الأفراد , وبالمنهج الإحصائي ندرس الفروق القائمة بين الأفراد , والاحتمالات المختلفة التي تنتظم بها هذه الفروق , وفي الحالة الأولى يبحث الدارس عن أوجه التشابه , وفي الثانية يدرس أوجه الاختلاف .
الدراسات التجريبية تمد الباحثين في الفروق الفردية بكثير من المواقف التي تستخدم في الاختبارات العقلية , فنحن نعلم أن بينيه (واضع أول اختبار للذكاء) كان عالماً تجريبياً , وأقر بأن دراساته التجريبية ساعدته كثيراً في فهم الذكاء . ويكفي أن نشير إلى أن التعديل الأخير لاختبار بينيه (1960) يتضمن كثيراً من المشكلات العملية , كما أن كثيراً من مشكلات الذاكرة وحل المشكلة وإدراك الأشكال وغيرها , لا زالت تستخدم في المعمل وفي إعداد الاختبارات العقلية كذلك .

ومن ناحية أخرى أكد ثلاثة من أبرز علماء النفس الروس - وقد كانوا من أشد المعارضين للقياس العقلي- أكدوا في دراسة لهم نشرت عام (1986) الحاجة الماسة إلى إعداد مجموعة من الاختبارات التشخيصية التي يمكن أن تساعد في تحديد أسباب التخلف الدراسي لدى التلاميذ الذين لا يعانون من قصور



الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم علم النفس - المرحلة الثانية

العام الدراسي (2025 - 2026)

القدرات العقلية



م.م. نور محمد هادي

أ.م.د. تغريد أدريب

عقلي، واعتبروا ذلك مطلباً حيويًا ينبغي أن تتجه نحوه جهود علماء النفس والتربية في روسيا في الوقت الحاضر.